PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

الشروط الاجتماعية لظهور التمثل الاجتماعي. تكنولوجيات الإعلام والاتصال أنموذجا.

Social conditions for the emergence of social representations. ICTs as a model

فريد بن زايد.

جامعة صالح بوبنيدر، قسنطينة 3 (الجزائر)، frd.benzaid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 14/ 07/ 2023 تاريخ القبول: 01/ 09/ 2023 تاريخ النشر: 30/ 11/ 2023

ملخص:

إن العالم الذي يحيط بنا ونعيش فيه مأهول بالأشياء والاشخاص والظواهر التي قد تشكل موضوع اجتماعي لتمثل اجتماعي. لكن، هل هذا يعني أنه يمكننا اعتبار كل هذه المواضيع المتعددة والمختلفة ملائمة لتَكُونَ قاعدة لانبثاق وبروز صيرورة تَمْثُلية؟

تحقيقا لهدا الغرض ترمي الدراسة الحالية في مرحلة أولى إلى تقديم قراءة وافرة في بعض مفاتيح الفهم في شروط تولد وانبثاق التمثلات الاجتماعية، وفي مرحلة ثانية تحاول فحص واستنطاق هذه الشروط من خلال إخضاع عينة من البحوث التي تناولت ثيمة "تكنولوجيات الإعلام والاتصال" كموضوع اجتماعي للتمثل للمناقشة والتحليل في ضوء بعض الأدبيات التي عالجت هده المسألة.

الكلمات المفتاحية: الموضوعات الاجتماعية؛ التمثلات الاجتماعية؛ انبثاق التمثلات الاجتماعية؛ معرفة الحس المشترك؛ تكنولوجيات الاعلام والاتصال.

Abstract:

The world we live in is filled with things, people, and phenomena that may be social objects of social representation. But does this mean that we can consider all these multiple topics valid as a basis for the emergence of a representative process?

Within this perception, the present study aims, at a first stage, to provide ample reading into some of the keys to understanding the conditions for the emergence of social representations; And in a second phase, it attempts to examine and question these conditions by subjecting a sample of research on the theme "Information and communication technologies" as a social object to discussion and analysis in the light of some of the literature that addressed this issue.

Keywords: *common sense knowledge; emergence of social representation; ICTs; Social representations; social objects*

I. مقدمة

بغض النظر عن التعريف الذي يأخذه "التمثل الاجتماعي" فهو أولا، وقبل كل شيء دائما دراسة لموضوع اجتماعي ما مُتَمثل من قبل مجموعة اجتماعية ما. فإذا كانت التمثلات الاجتماعية في مفهومها الواسع مجموعة من الآراء والمعلومات والقيم والمعتقدات المتقاسمة والمتشاركة اجتماعيا حول موضوع ما، فهذا معناه أنها "دائما تَمثُل لشيء ما (موضوع/objet) ولشخص ما (Sujet)"(Jodelet D. , 1989, p. 59) .

ويتميز في هذا السياق "موضوع" التمثل بطبيعة متعددة الأشكال، ولهذا يمكن أن يكون شيء أو حدث (مادي، نفسي أو اجتماعي) أو فئة أشخاص (أساتذة، صحفيون). كما يمكن أن يكون ظاهرة (طبيعية أو فكرية) أو نظرية علمية. كما يمكن أن يكون أيضا حقيقي أو خيالي وحتى أسطوري، لكنه دائما ضروري.

أما الذات sujet أو الفاعل الاجتماعي، أي الشخص المُتصور فيمكن أن يكون شخص أو مجموعة اجتماعية. على هذا النحو إذن تشكل العلاقة[موضوع-شخص(ذات)] وفقا "لدونيس جودلي" (1989) القاعدة التي تَطَوَرَ حولها مشروع نظرية التمثلات الاجتماعية، حيث لا يوجد تَمثُل مستقل عن الأشخاص، ولا عن المواضيع المرتبطة بها.

إن أهمية هذا التصور لا تَكمُنُ في دلالات مصطلحي الموضوع أو الفاعل الاجتماعي (الذات) بعينهما بقدر ما تكمن في العلاقة القائمة بينهما، و هو ما تشدد عليه جودلي(1984) عندما تأكد أنه من المناسب عند دراسة التمثلات البحث عن هذه "العلاقة"، عن علاقتنا "بالعالم و الأشياء" (p. 362)، عن الرابط الموجود بيننا و بين الأشياء و الآخرين"، و إذن، فالتمثل يتأثر دائما بخصائص الموضوع أو الشيء المتمثل، و الشخص المتصور، و عليه فالموضوع و الشخص ليس منفصلين تماما كما يقول موسكوفيتسي (1961). وتعد هذه العلاقة عبارة عن "وسيط"(médium)، أو "قنطرة" تربط الموضوع والشخص والنشاطات التي ستجعل ممكنا التفكير التمثلي(pensée représentative) .

يفضي هذا التصور؛ الذي يرفض الفصل ما بين الفاعل والموضوع(Abric, 1994, p. 12) ،وما بين "العالم الخارجي والعالم الداخلي للفرد والمجموعة" إلى قراءة ثلاثية للوقائع والعلاقات بين الذات (sujet) والموضوع (objet)والاجتماعي(l'alter) (Moscovici, 1961).من هذا المنطلق فإن المثير والاستجابة يشكلان قطبا واحدا والموضوع لا يوجد لذاته، بل من أجل الآخرين. وبالتالي فإن الذات والموضوع يتفاعلان ويؤثر الواحد منهما في الأخر.

بالجملة، يمكننا القول إن دراستنا للتمثلات الاجتماعية تهتم بظاهرة التفاعل بين فاعل اجتماعي أو مجموعة اجتماعية وموضوع أو شيء اجتماعي بهدف فهم الاتجاهات والسلوكيات التي تُولِدُهَا التمثلات الاجتماعية وفهم المعرفة المنتشرة حولها.

على كل، مما لا شك فيه أن العالم الذي يحيط بنا ونعيش فيه مأهول بالأشياء والاشخاص والحوادث والظواهر وحتى الاساطير التي قد تشكل موضوعات اجتماعية (social objects) لتمثل اجتماعي، لكن هل هذا معناه أنه يمكننا اعتبار كل هذه المواضيع المتعددة والمختلفة ملائمة وصالحة لتَكُونَ قاعدة لانبثاق(émergence)، تبلور أو بروز صيرورة تَمْثُلية؟ بمعنى أخر، ستتمخض عنها بالضرورة تمثلات متسقة ومنظمة مبلورة ومتقاسمة اجتماعيا.

في الحقيقة ليست كل التمثلات هي بالضرورة اجتماعية ،و لا كل موضوع أيضا بالضرورة موضوع تمثل اجتماعي ،و بالتالي ستتمخض عنه بالضرورة عملية تَمَثُلية كما بينته العديد من الأبحاث و الدراسات الميدانية (Moliner P. , 1993; Guimelli, 1994; Lahlou, 1998).فإذا كان مثلا التحليل النفسي (Moscovici, 1961) أو الجنون أو الصحة و المرض (Jodelet,1984,Herzlich,1969) موضوعات بإمكانها أن تُشكل قاعدة لبروز تمثل اجتماعي ،تبلوره و تتقاسمه مجموعة اجتماعية ما فإن مواضيع أخرى كمعجون الأسنان (Mariotti, 2003) مثلا أو السبانخ(Guimelli, 1994) لا يمكن أن تتولد عنها بالضرورة صيرورة تمثلية من المنظور الذي ترومه نظرية التمثلات الاجتماعية. و ذالك لأن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية و الظواهر قد تكون حسب "إيف بوليو" (Pouliot, 2013) أفضل من غيرها للتحليل "لأسباب تقنية و نظرية"(p. 13) ، و لهذا يتطلب البحث الميداني في التمثلات الاجتماعية (مضمون و بنية التمثل...) "تشخيصا قبليا"(idem) يهتم أساسا بتحديد خصائص الموضوع الذي يخضعه الباحث للدراسة و التأكد من ملائمته.

يشدد في هذا الصدد "روبرت فار"(Farr, 1992, p. 187) ؛الذي يتساءل إذا كان بإمكاننا-اليوم- "اعتبار كل شيء تمثل اجتماعي "على أهمية تحديد ما هو ليس تمثلا، وتمييزه عن باقي الوقائع والظواهر القريبة منه على غرار الاتجاهات، الآراء، الصور النمطية والايديولوجيات.

بناءا على هذه الأطروحات فالتساؤل الأكثر أهمية إذن - والذي يغفله على ما يبدو رغم أهميته أغلبية الباحثين وفقا لمولينر (1993)- لا يكمُنُ كما يشير "فلامون"(Flament, 2003) في دراسة أو رصد التمثل الاجتماعي بل "أولا" و قبل كل شيء في معرفة ما هو موضوع التمثل، و فيما إذا أستوفى الحد الادنى من الشروط اللازمة لانبثاق أو ظهور التمثل الاجتماعي(Moliner, 1993,1996,2016,2002) ،و كيف "برز" و "تشكل" حتى أصبح موضوعا اجتماعيا.

لتتولد وتنبثق عن ظاهرة أو موضوع تمثلات اجتماعية، يقترح "باسكال مولينر"، فضلا عن شرطي خصائص الموضوع والمجموعة المذكورة أعلاه، التركيز أيضا على خصائص أخرى هي "الرهانات والديناميكية الاجتماعية وغياب التنظيم الدو غمائي(الارثودوكسية)" كمعالم لتبرير اختيار الموضوع، وإذن مشروعية البحث فيه.

في ضوء هده المعطيات ترمي الورقة الحالية في مرحلة أولى إلى تقديم قراءة وافرة في بعض مفاتيح الفهم في شروط تولد وانبثاق التمثلات الاجتماعية، وفي مرحلة ثانية تحاول فحص واستنطاق هذه الشروط من خلال إخضاع عينة من البحوث التي تناولت ثيمة "تكنولوجيات الإعلام والاتصال" كموضوع اجتماعي للتمثل للمناقشة والتحليل في ضوء بعض الأدبيات التي عالجت هده المسألة.

ولأجل ذالك سينصب اهتمامنا في محاولة الاجابة على تساؤل مركزي: هل استوفى "موضوع التمثل" محل الدراسة في عينة البحوث الشروط الاجتماعية لانبثاق وتوليد عملية تَمَثُلِية؟

أما أهمية دراسة خصائص وشروط انبثاق العملية التمثلية لموضوع ما فتكمن في قيمتها الاستكشافية بما يسمح للباحث من فهم كيف تتشكل وتبنى المواضيع (جديدة، غير معروفة، موجودة مسبقا، في طور التشكل أو التحول...) في فترة زمنية ما، داخل مجموعة معينة وسياق معين، وإذن الانتقال من التركيز على الموضوع في حد ذاته إلى معرفته ورصد التمثلات التي يبلورها الافراد والمجموعات حوله في سياق تاريخي وثقافي معين.

اكتفى الباحث لهذا الغرض بعينة من الدراسات العربية التي عالجت بشكل مباشر أو ضمنيا تمثلات الأفراد والمجموعات الاجتماعية لتكنولوجيا الاعلام والاتصال في سياقات سوسيو ثقافية مختلفة.

أولا: شروط انبثاق وبروز التمثلات الاجتماعية: Les conditions d'émergence d'une RS

في دراسته الأساس "التحليل النفسي، صورته وجمهوره La psychanalyse son image et son public"التي وضعت الأُسُس النظرية والمنهجية لما أصبح يعرف اليوم بنظرية التمثلات الاجتماعية(TRS) اقترح "سرج موسكوفيتسي"(1961, pp. 246-252) ثلاثة شروط افترض أن التقاءها ضروري لتوليد أو انبثاق(émergence) تمثل اجتماعي:

1. تشتت المعلومة(dispersion de l'information) :

تنشأ هذه الوضعية عندما لا يحوز الأفراد على معطيات أو معلومات موضوعية كافية حول موضوع أو بسبب الطبيعة "المعقدة" لهذا الاخير. وفقا لموسكوفيتسي(1961) عندما يحصل الأفراد والمجموعات على معلومات ومعطيات مجزئة وغير كافية، أو كثيرة حول موضوع ينتج ما أطلق عليه تشتت المعلومات، ويرجع دالك حسبه إلى "اختلاف وضعية ومكانة الفاعلين الاجتماعين"(pp. 248-249) .

للإشارة فإن شح المعلومات حول موضوع غير معروف ومحدد يشجع على بلورة التمثلات، كما أنه كلما كان تشتت المعلومات قوي حول موضوع ما كلما حفز على انبثاق تمثلات اجتماعية حوله (Rubira-Garcia&al., 2018, p. 7)

2. التركيز في المجموعة (Focalisation du groupe)

يتجلى هذا الشرط في الأهمية التي يكتسيها موضوع اجتماعي ما بالنسبة للمجموعات. وهو ميكانزم يقوم من خلاله الأفراد والمجموعات بإبراز بعض سمات موضوع التمثل الاجتماعي التي تتوافق مع مصالحهم، وتقصي أو تتجاهل في نفس الوقت سمات أخرى لأنها لا تتناسب مع نظام قيم الفاعلين(Moscovici, p. 250) . ومن هذا المنطلق فإن طريقة " تموقع الأفراد" إزاء الموضوع، وطبيعة "العلاقات" التي يقيمونها معه ستكون مختلفة في تقدير "غايمارد"(2021, p. 70) .علاوة على هذا تساهم درجة التركيز على موضوع التمثل في حشد اهتمام المجموعة حوله بغرض فهمه وإدماجه في صورتها وممارساتها.

3. ضغط الاستدلال(Pression à l'inférence) :

أو ضغط البحث عن دلالة، و يتمثل في حاجة الفاعلين الاجتماعين في الوصول إلى "تفسير" و وضع "شفرة مشتركة" متعلقة بالظواهر و مواضيع التمثل الاجتماعي(Moscovici, 1961) .و تنتج الحاجة إلى الاستدلال حسب "روسيو و بوناردي"(2001) من ضرورة الاتصال و التواصل لسد الثغرات التي تنشأ حول المعارف (p. 21)،بهدف بناء شكل من "الاتفاق حول مضمون التمثلات الاجتماعية"(Moscovici, p. 252) .

تطرح هذه الافتراضات فكرة كيف تتكون معارف ساذجة، ومختلفة ومتباينة إزاء موضوع (التحليل النفسي) في مجتمع واحد (المجتمع الفرنسي)، تختلف في مضمونها وتركيبتها عن المعارف العلمية ومعارف الخبراء. ويعود مصدر هذه الاختلافات إلى الاختلاف في "المستوى الفكري" ومدى "مسايرة الأفراد والمجموعات (الكاثوليكيين، البروليتاريون، ....) للنسق الثقافي والاجتماعي الذي هم فيه، وإلى انتمائهم الإيديولوجي.

خلاصة القول فإن الشروط المذكورة أعلاه تعتبر على نحو ما مكونات الواقع الاجتماعي المرتبطة بإنتاج التمثل الاجتماعي(Gaymard, 2021, p. 71)

ثانيا: ماهية وخصائص الموضوع الاجتماعي: مساهمات متقاطعة

إذا كانت الشروط التي قدمها "موسكوفيتسي" في دراسته الأساس "ضرورية" لفهم كيف تنبثق وتتبلور التمثلات الاجتماعية حول موضوع اجتماعي ما (علم النفس التحليلي)، فهي "غير مكتملة" في نظر "مولينر"

(1993) ولا يمكننا التأكد أنه سيتمخض عنها صيرورة تمثلية كاملة، كما أنها "لا تفسر إلا جزئيا" صيرورة انبثاقها في وضعية معينة حسب "روسيو وبوناردي"(Roussiau & Bonardi, 2001, p. 21) .

فبعض الأشياء أو المواضيع الاجتماعية التي قد تبدو على نحو ما ظاهريا "ملائمة" لبروز تمثل لا يتمخض عنها دائما وبالضرورة تمثلات في مجموعة اجتماعية ما وفي سياق معين. حيث يبدو مثلا أنه من "المستحيل" التفكير بوجود تمثلات اجتماعية للقانون (la loi) عند القضاة، أو الاطباء لمرض السرطان أو السيدا مثلا - يملك الاطباء معارف تقنية حول الموضوع- وذالك بالنظر إلى طبيعة المجموعة وخصائصها وعلاقتها بالموضوع. علاوة على هذا فهده المجموعات الاجتماعية هي مجموعات مهنية تنظمها وتؤطرها-بشكل أو آخر تنظيمات "أرثوذوكسية" تضبط خطاباتهم ومواقفهم.

إذن فكل واحد منا على حد تعبير "ماريوتي"(Mariotti, 2003) قد يملك أراء أو معتقدات حول موضوع "مصارعة الثيران"، موضوع اجتماعي تنطبق عليه المعايير الثلاثة السالفة الذكر لكن هذا لا يعني البتة أنه سيؤدي حتما إلى تشكل تمثل اجتماعي في مجموعة ما وفي وضعية أو سياق معين.

على كل، بصرف النظر عن الشروط التي اقترحها "موسكوفيتسي"، بينت مساهمات متقاطعة لعدد من الباحثين، أهمها التصور الذي أقترحه "مولينر" الحاجة إلى تحيين هذه الخصائص وتدعيمها بمسارات جديدة تستجيب للتطورات والتغيرات المختلفة للحياة السيكو اجتماعية.

ففي تقدير "سعدي لحلو" (Lahlou, 1998) ، الذي يميز بين الأشياء/المواضيع اللامادية والأشياء المادية، فقط الأشياء اللامادية يمكن أن تصبح موضوعا لتمثل. ويوضح عندما يضرب مثالا "ببرج إيفل" أن بعض المواضيع المادية ما لم تكن معروفة على نطاق واسع لا يمكن أن تشكل قاعدة لبروز تمثل وذالك لأنها لا تنتمي بالضرورة إلى اللغة المشتركة للمجموعة. أشار "قيميلي"(Guimelli, 1994) من نفس المنظور إلى "استحالة" مثلا التمثل الاجتماعي "للسبانخ "(épinards) رغم أنها شيء معروف على نطاق واسع وقدر أنه يجب أن يكون الشيء ذو طبيعة تجريدية ليتولد عنه تمثلات.

أما "روكيت و راتو"(Rouquette & Rateau, 1998) فيركزان في تحديد الموضوع المناسب على معيار "أهمية الموضوع" و التي تتجلى حسبهما في خاصية "حجم" (taille)الموضوع المتمثل، حيث كلما كان الموضوع "كبير" (grand)أفرز عدد هام من "التفاعلات" داخل المجموعة، و إذن ستكون دراسته واضحة عكس الموضوع الصغير.

من جهته يقدر "مارشاند"أن المواضيع ذات الطبيعة "الجدلية"(polémique) فقط هي التي يمكن أن ينتج عنها صيرورة تمثلية، وبالأخص "المواضيع الجديدة التي توجد في طور البروز"، والتي عادة ما تكون في قلب اهتمامات المجموعات الاجتماعية وموضوع نقاشات جدلية.

أما بالنسبة لكل من "فلامون وروكيت"(Flamment & Rouquette, 2003, pp. 31-33) فإنه لا يمكننا الحديث عن ظاهرة أو شيء كموضوع اجتماعي إلا إذا استوفى كحد أدنى شرطين أولهما "البروز السوسيو-معرفي"(saillance) للموضوع في ثقافة معينة وحقبة زمنية ما، وثانيهما وجود "ممارسات (pratiques)" مرتبطة به. تشكل هاتين الخاصيتين من وجهة نظر "فالونس"(2010, p. 30) "الجانب الاجتماعي للتمثل وتحددان بناء الموضوع"، وبإهمالهما يصبح المفهوم مفهوم "عامي (banal)". لتوضيح هده الفكرة يضرب الكاتبان مثالا

بمعجون الآسنان، موضوع لا هو بمجرد ولا هو عامي générique بما فيه الكفاية تنتفي بشأنه هده الخصائص، وبالتالي لا يوجد في تقديهما تمثل لمعجون الاسنان في حد ذاته وإنما لفكرة النظافة.

علاوة على هذا يشكل خاصية القرب من موضوع التمثل خاصية استكشافية مهمة تسمح من فهم اتجاهات واراء الافراد والمجموعات المتباينة والمختلفة (مستهلك/غير مستهلك) نحو بعض المواضيع كالمخدرات والقنب الهندي.

يكشف استعراض هده العينة من الأطروحات أنه لا يوجد على الأرجح تعريف موحد للموضوع الاجتماعي وخصائصه وكيف يُبنى، ولكن مجموعة متباينة من الآراء والتصورات التي من شأنها أن تساعد الباحث من الاستكشاف والتشخيص القبلي للظاهرة أو الشيء الذي ينوي إخضاعه للدراسة.

ثالثا: شروط انبثاق التمثل الاجتماعي عند باسكال مولينر:

إضافة إلى الخصائص والشروط التي أرسى أُسُسَها موسكوفيتسي في نموذجه "السوسيوجيني" قدمت العديد من المساهمات كما ذكرناه أنفاً، أهمها ما قام باقتراحه مولينر وزملائه.

1. خصائص الموضوع:

لا يوجد تمثل دون موضوع (Jodelet D. , 1989) لكن ليس كل الموضوعات تفضي بالضرورة إلى انبثاق تمثل اجتماعي. ولهذا فمن الضروري أن يكون موضوع التمثل "متعدد الأشكال" (polymorphe) و "معقد" (Moliner P. , 1996) ، أي أن يظهر لنا في "أشكال تمثلية متعددة في المجتمع" وأن يكون غير محدد بشكل واضح" (Moliner, Rateau, & Cohen-Scali, 2002, pp. 30-31) .فالأكثر أهمية هنا ليس طبيعة الموضوع، لكن مكانته الاجتماعية. بالنسبة لمولينر تحيل هذه الخاصية إلى فكرة أن الموضوع يجب أن يكون هاما بالنسبة للأفراد، وإذن يمثل تهديدا لهم، ويشكل التحكم فيه فائدة.

من هذا المنطلق فمن المهم أن يتسم الموضوع بقدر من التجريد، وأن يكون ذو طبيعة معقدة حتى يكون بالإمكان تشكيل معارف حوله حيث إذا كان الموضوع على قدر كبير من البساطة فالمرجح أن الصيرورة التمثلية تكون معطلة، وإذن عملية بناء المعرفة ستكون دون شك صعبة.

2. خصائص المجموعة:

إذا كانت التمثلات الاجتماعية مجموعة من المعارف المبلورة والمتقاسمة اجتماعيا فهذا يعني أنها مرتبطة بمجموعة اجتماعية لها علاقة بموضوع ما. التمثلات المتقاسمة هنا دليل على وجود مجموعة أنتجتها.

من هذا المنطلق فإنه ليمكننا الافتراض بوجود تمثل اجتماعي لموضوع ما، يجب أولا حسب مولينر (1996)تحديد المجموعة والتي يمكن اعتبارها "مجموعة من الأفراد الذين يتواصلون فيما بينهم بشكل دوري، ويوجدون في حالة تفاعل مع موضوع التمثل الاجتماعي".(p. 37) تفترض الصيرورة التمثلية "التبادل المنتظم بين الأفراد الذين يتقاسمون نفس الاهتمامات والممارسات حول موضوع معين".

وتكمن أهمية الاهتمام بهذا المعيار في أن كل مجموعة لها تجارب خاصة بها حول موضوع التمثل الاجتماعي، وتَتَمثلُه وفقا لمنطق واهتمامات خاصة بها. لهذا الغرض تقوم المجموعة أولا بتحديد الموضوع حتى يكون بإمكانها لاحقا فهم الوضعيات والأحداث المرتبطة به، وتصبح بالتالي قادرة على وضع تنبؤات حياله.

ويمكننا التمييز بين شكلين من المجموعات تبعا لموقفها إزاء الموضوع: "تشكيل هيكلي"(configuration structurelle) أو "تشكيل ظرفي"(configuration conjoncturelle). الموقف الاولى يخص المجموعات التي "يرتبط وجودها ارتباطا وثيقا بموضوع التمثل"، أي أن الموضوع هو الذي ساهم في تَكَوُن المجموعة. أما الموقف الثاني فيتعلق بالمجموعات "السابقة الوجود والتي تواجه موضوعا جديدا وجدليا" (Moliner P. , 1996, p. 39).

إن الوعي بالفروقات والتباينات السوسيو ديموغرافية والاجتماعية بين مختلف المجموعات الاجتماعية مهم لفهم كيف تتكون تمثلات اجتماعية متباينة حول موضوع واحد.

3. الرهانات:

يرتبط الشرط الثالث لبروز صيرورة تمثلية بمسألة الرهانات التي يمثلها الموضوع في مجموعة. في الواقع إذا كانت بعض المواضيع مثل العمل أو العائلة حسب مولينر(2016, p. 44) "تهيكل النظام الاجتماعي ordre sociale)"ففي المقابل البعض الأخر مثل الانحراف أو المرض "تهدد" هذا النظام، وإذن بسبب "إمكانياتها الهيكلية والمهددة" تشكل هذه المواضيع رهانات بالنسبة للمجموعة.

وتتحكم في انبثاق التمثل الاجتماعي من هذا المنظور نوعين من الرهانات الحاسمة: رهانات متعلقة بالهوية وأخرى مرتبطة بالتماسك الاجتماعي للمجموعة(Moliner P. , 1996) .الحالة الاولى تتجلى في "تشكيل هيكلي" حيث يرتبط وجود وبقاء المجموعة في وجود وبقاء الشيء أو الظاهرة. يساهم استمرار وجود الموضوع وبقائه في الحفاظ على الهوية السيكو-اجتماعية لأعضاء المجموعة وتقويتها. أما في حالة "التشكيل الظرفي" فعندما تجد المجموعة نفسها أمام موضوع جديد أو غير معروف فستحاول بغرض الحفاظ على التماسك الاجتماعي للمجموعة التقليل من الاعتراضات والاختلافات إزاء الموضوع الجديد المتنازع عليه وتدمجه في إطار مفاهيمي موجود من قبل.

إذا كان الموضوع دون رهان فلا يمكن أن يخلق ديناميكية اجتماعية كما لا يمكنه أن يغذي الاتصالات ما بين الفردية interindividuelles وما بين المجموعات.

4. الديناميكية الاجتماعية:

يقدر مولينر (1996) أنه لا يمكن لأي تمثل اجتماعي أن يتشكل إذا لم يندرج في ديناميكية اجتماعية، كما لا يمكننا فهم هذه الديناميكية خارج سياق العلاقات التي تقيمها المجموعة مع المجموعات الاجتماعية الأخرى. ولهذا فإذا كان "التحكم في الموضوع مرتبط برهان، فلأن هذا الموضوع استثمرت فيه بعض القيمة في أعين المجموعة التي تتعامل معه"(p. 44) .

وتتجلى الديناميكية الاجتماعية في "التفاعلات التي تنشأ بين المجموعة حول الموضوع"، والتي من شأنها وفقا لمولينر وزملائه (2002, p. 31) أن تحفز المجموعة على "استملاك"(appropriation) موضوع التمثل.

علاوة على هذا فإنه لا معنى لقيمة رهان الموضوع (valeur d'enjeu) وفقا لهذا الباحث إلا إذا كان في قلب التفاعل الاجتماعي، وله بعض المنفعة الاجتماعية ويتوافق مع حاجة. وعلى هذا "فالقيمة النفعية للموضوع تعتمد على إدماجه في الديناميكية الاجتماعية"

5. الارثوذكسية: (غياب تنظيم امتثالي أو دوغمائي)

أن تكون مجموعة في ديناميكية اجتماعية إزاء موضوع متعدد الاشكال وحامل لرهان لا يكفي لظهور تمثل اجتماعي. ولهذا يشدد موليز وزملائه (2002, p. 31) على ضرورة ألا تخضع المجموعة ل "هيئة تنظيم" أو "مراقبة" تتحكم في نشر المعلومات والأفكار وفي صحتها (validité)، لأن هذا الأمر يخلق في رأيهم "تفكير جاهز"(Prêt à penser) حول الموضوع المدروس. لتوضيح هذا التصور يتساءل نفس الباحث (Moliner P. , 1993, p. 12) إذا كان مثلا بإمكان الأطباء الذين يخضعون على نحو ما لتوصيات وقرارات مجلس وعمادة الاطباء أن يكون لديهم تمثلات ممكنة للمرض. معنى هذا أن المعارف حول موضوع ما يتم بلورتها وتطويرها بشكل جماعي وليس بفرضها أو كنتيجة لسيطرة هيئات تنظيمية.

نافلة القول: تتولد وتكون هناك تمثلات اجتماعية متسقة ومنظمة عندما "لأسباب هيكلية أو ظرفية، مجموعة أفراد تجابه أو تواجه موضوعاً متعدد الأشكال (أو الأوجه) (Polymorphe) يمثل التحكم فيه بالنسبة لفاعلين اجتماعين آخرين، يتفاعلون مع هده المجموعة رهاناً ". وأخير عندما "لا تكون المجموعة خاضعة لهيئة تنظيم تُحدد لها نظاما أرثوذكسيا"(Moliner P. , 1996, p. 48) .

أخيراً، وكخلاصة يمكننا إيجاز الشروط التي يجب الاهتمام بها عند دراسة كل موضوع للتمثل الاجتماعي فيما يلي:

- يتولد وينبثق التمثل الاجتماعي لموضوع ما عندما تجتمع ثلاثة شروط بشأنه: تشتت المعلومات، وتركيز مجموعة اجتماعية عليه، والشعور بالحاجة إلى الاستدلال.
- ليتمخض عن الموضوع صيرورة تمثلية متسقة أو ثابتة ومنظمة، يجب أن يكون متعدد الأشكال أو معقدًا وأيضا ذو طبيعة جدلية.
- موضوع التمثل لا يُدرسُ لذاته، بل في علاقته مع مجموعة اجتماعية محددة ما يسمح لنا من مقارنة التمثلات الاجتماعية المتباينة لهذا الموضوع على المستوى الداخلي للمجموعة أو ما بين المجموعات أو تبعا للمستوى الموضعي (الوضعية الاجتماعية) أو على المستوى الايديولوجي (المعايير والمعتقدات والقيم..).
- تقوم المجموعات ببلورة التمثل لأسباب هيكلية أو ظرفية. ويكون الرهان بالنسبة لها إما هوياتي أو بهدف تقوية التماسك الاجتماعي والمحافظة عليه، كما يجب أن يتمخض عن هذه العملية تفاعلات داخل المجموعة الواحدة وما بين المجموعات.
- من المهم ألا تخضع هذه المجموعات لهيئة ضبط ومراقبة تسيطر على المعلومات وسيولتها.

السؤال المطروح الان كيف لهذه المعايير التي تم الاشارة إلى بعضها باختصار مساعدة الباحث وتوجيهه لاختيار وتحديد خصائص موضوع التمثل المدروس والتأكد انه سيتمخض عنه تمثلات اجتماعية متسقة ومهيكلة؟

رابعا: مناقشة وتحليل:

أدخل يكشف استعراض عينة البحوث (لعياضي؛ بوخنوفة؛ الصادق) التي أمكن للباحث الاطلاع عليها تنوعا وتبايناً في البدايات والنهايات، واختلافا في الأهداف والغايات. ولكنها تشترك جميعها في أنها تعالج إشكالية أساسية تعنى بمساءلة العلاقة القائمة بين الأفراد والمجموعات الاجتماعية (الفاعل الاجتماعي) وتكنولوجيا الإعلام والاتصال (الموضوع الاجتماعي).

وقد تناولت مسألة التمثلات الاجتماعية لتكنولوجيا الإعلام والاتصال بوصفها متغيراً (تابعا أو مستقلا...) لتحليل تارة علاقتها بالاستخدامات الاجتماعية للشباب الإماراتي للإنترنت وتطبيقاتها الاجتماعية (لعياضي، 2012)،أو لمسألة علاقة الطفل بالوسائط الإلكترونية (الكمبيوتر، الهاتف المحمول والإنترنت) وتمثلاته لإمكانيتها ومخاطرها (بوخنوفة، 2007) . و تارة أخرى لتفسير صيرورة الإدماج الاجتماعي لتكنولوجيا الإعلام و الإتصال في الممارسات اليومية لعينة من تلاميذ و معلمي بعض المدارس الجزائرية (بوخنوفة(2)، 2007) ،و مرات أخرى لتتبع تجليات الفعل التمثلي الذاتي و الاجتماعي للهوية الرقمية للشباب من منظور الكبار في المضامين الترفيهية و الإعلانات و في المضامين الإعلامية و الأبحاث الأكاديمية (الصادق، 2012).

وقد ناقشت هذه الدراسات والأبحاث بشكل عام البناء الفردي لصورة "موضوعات اجتماعية" (social objects) مختلفة ومتنوعة (الإنترنت، التطبيقات الاجتماعية للإنترنت، الهوية الرقمية...) في علاقتها بالأفراد والمجموعات (التلاميذ، المعلمين، الشباب، الشباب الرقمي والجيل الرقمي...). ولكن أيضا تأثيرات السياق الاجتماعي (المدرسة، الجامعة، المنزل...) الذي يتواجد ضمنه الأفراد (المستخدمين) من جهة وتأثيرات الانتماء الثقافي والإيديولوجي والقيمي (عادات، تقاليد، قيم...) من جهة أخرى. كما ناقشت أيضا تأثيرات الميديا والمؤسسات الاجتماعية (التلفزيون، الأسرة، الجامعة) وغيرها على بناء التمثل الاجتماعي لهذه المواضيع والأشياء، والظواهر، والأفكار، والأشخاص.

بشكل عام، توصل كل من لعياضي (2012)وبوخنوفة (2007؛ 2007) إلى رصد مجموعة من التمثلات الاجتماعية تباينت واختلفت في مضمونها تبعا للمجموعة المُتصورة (معلمين، أطفال، شاب..) والسياق الذي تطورت ضمنه (المدرسة، الجامعة، المنزل...) وأيضا حسب متغير النوع أو السن وحتى الجنسية من جهة وتبعا للموضوع المتمثل أو الظاهرة أو الشيء (الإنترنت، الوسائط الإلكترونية...) من جهة أخرى.

كشفت دراسة بوخنوفة عن تمثل إيجابي لعملية إدماج تكنولوجيات الإعلام والاتصال في الفصل الدراسي وأيضا للحاسوب واستخداماته بين معلمي وتلاميذ بعض المدارس. كما توصلت من جهة أخرى إلى رصد تمثلات إيجابية للإنترنت لدى المعلمين والتلاميذ. في المقابل استنتج الباحث أن تمثلات الأساتذة والتلاميذ لموضوع التمثل تختلف ودالك لأن ظروف التفاعل مع الشيء التقني وأهدافه تتباين، فإذا كانت بالنسبة للمجموعة الاجتماعية الأولى وسيلة لنقل المعارف بواسطة الأجهزة فهي بالنسبة للتلاميذ أداة ووسيلة مساعدة في عملية التعلم والاكتساب.

بينت دراسة أخرى لنفس الباحث (2007)حول الأطفال والثورة المعلوماتية أن الأطفال يتمثلون الكمبيوتر على أنه "ماكينة ذكية"، بإمكانها الإجابة على كل الأسئلة. أما الإنترنت فيتمثله الأطفال "كشبكة ضخمة"، و "مكتبة افتراضية غير محدودة"، فحين أن تمثلهم لمخاطرها، فهو تمثل يشوبه حسب الباحث "تشوش عام" ويمتزج بكثير من "الخرافات" التي يسمعونها.

توصل لعياضي (2012) في مقاربته لعلاقة الشباب الإماراتي بالإنترنت إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن بعض المتغيرات السوسيوديمغرافية (العمر، الجنس، الجنسية...) تتدخل في تمثل الإنترنت وتطبيقاته المختلفة. فإذا كان مثلا الهاجس الذي يحرك تمثل الشباب الإماراتي والخليجي لهده التكنولوجيا هو "بناء الذات" مهما كانت غاية الاستخدام (اتصال، ترفيه، إقامة علاقات..)، فان استخدامات وممارسات الشباب ذوي الجنسيات الأخرى تفضي إلى تمثل استخدام الإنترنت كوسيلة من "أجل تحضير مستقبلهم".

أبرز الصادق (2012) دور الميديا وبعض الفاعلين والمؤسسات الاجتماعية في رسم الصور النمطية وخلق الاتجاهات والآراء حول بعض المواضيع الاجتماعية والأفكار، التي تساعد على نحو ما في بناء وتبلور

التمثل الاجتماعي للأفراد. كما بين الدور المحوري الذي تلعبه الخطابات بمختلف أشكالها وعلى أكثر من مستوى في خلق سلوكيات وقوالب ذهنية وإثارة النقاشات حول هذه الأشياء والمواضيع.

إجمالا، توصل إلى مجموعة من النتائج أهمها أن أغلبية التمثلات الاجتماعية لمختلف الفاعلين والمؤسسات الاجتماعية لتكنولوجيات الإعلام والاتصال المختلفة وللهوية الرقمية للشباب هي تمثلات الكبار للشباب، وليس تمثلات الشباب كفاعلين اجتماعيين للتكنولوجيا. وأظهرت أن الفروقات العمرية وما ينتج عنها من فروقات في الاستخدامات مؤشر هام لفهم التمثلات المتباينة والمختلفة بين المجموعات الاجتماعية وداخل المجموعة الواحدة.

انطلاقا من العرض أعلاه، هل تشكل الموضوع(ات) التي عالجتها عينة البحوث موضوعا مناسبا لبروز تمثلات اجتماعية متسقة ومنظمة، وهل بالإمكان اسقاط المعايير والخصائص اللازمة لانبثاق تمثل اجتماعي عليها

مما لا شك فيه أن موضوع "تكنولوجيا(ت)الإعلام والاتصال" الذي عالجته وشخصته عينة الدراسات محل التحليل والمناقشة في هذه الورقة موضوع تمثل بامتياز. ويبدو لنا جلي أن شروط انبثاق وتَوَلُدْ وظهور صيرورة تمثلية متسقة ومنظمة تتفق–إلى حد كبير- في رأينا مع المعايير والخصائص الأساسية التي اقترحها "موسكوفيتسي" (1961)،وحَيَنَها وطور فيها "موليز" وآخرون.

بشكل عام وواسع، إذ اسقطنا المنظورات أعلاه على الموضوع المتصور هنا-تكنولوجيا(ت) الإعلام والاتصال- سنلاحظ أنه موضوع واسع، معقد، جدلي ومتعدد الأشكال polymorphe، وهو موضوع نقاش محتدم بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين. الظاهر أن حجم عمليات الاتصال والتواصل حول الموضوع المُتصور قد أفضت إلى إنتاج كم هائل وكبير من المعطيات والمعلومات المتباينة والمختلفة بشكل أصبح معه من الصعب التحكم والسيطرة عليها أو الاحاطة بها وفهمها في مجموعها. وهو ما يقودنا في هذا المستوى إلى الاعتقاد كما يشير"موسكوفيتسي" إلى أن هذه المعلومات أصبحت، بالنظر إلى اختلاف الوضعية والمكانة الاجتماعية للفاعلين الاجتماعيين درجة تعقدها "مشتة" داخل وما بين المجموعات الاجتماعية المختلفة.

علاوة على هذا، فمن الواضح أن ظهور شيء جديد وكبير في المجتمع (تكنولوجيا الاعلام والاتصال، الإنترنت)، يعتبر التحكم فيه وفهمه رهانا؛ أو بروز ظاهرة غير مسبوقة (الإعلام الجديد) لا يملك الأفراد حولها معطيات موضوعية كافية تسمح لهم من تكوين نظرة شاملة حولها، أو لأنها مجزأة تثير غالبا القلق والمخاوف بسبب طبيعتها الهيكلية أو الظرفية.

تحفز هذه الظاهرة على ظهور نشاط معرفي حاد يعرف بضغط الاستدلال أو البحث عن دلالة أو استنتاجات الهدف منه الفهم والتحكم في المحيط؛ وفي الوقت نفسه إحساس أن الموضوع مهم، وإذن يصبح من الضروري تطوير معارف بشأنه. تفضي هذه العملية إلى تعدد النقاشات والاتصالات الما بين فردية والما بين المجموعات حول الموضوع أو الظاهرة المتمثلة.

بناءا على ما سبق إذن، تتمخض عن هذه الحالة -ضغط الاستدلال- بلورة وتكوين معلومات مشتركة و معتقدات و فرضيات، و حتى تكهنات و تخمينات، تفضي غالبا إلى انبثاق مواقف غالبة أو مسيطرة في مختلف المجموعات الاجتماعية. إن بروز إجماع معين حول موضوع الانترنت مثلا سيسهل دون شك عملية معالجة المعلومات المجزئة والمشتتة بطريقة انتقائية، حيث تقوم المجموعات الاجتماعية كما ذكرناه أنفا بالتركيز على جانب محدد من الموضوع أو على البعض من خصائصه(الايجابيات)، وتقصي أو تتجاهل السمات الأخرى(السلبيات) وذالك تبعا لاهتماماتها وتطلعاتها و هو ما يعرف بالتركيز.

انطلاقا من هده السياقات العامة، فإن المتتبع لتاريخانية هذا الموضوع/الشيء/الظاهرة... (لأنه كل هذا، وربما أكثر)، وطرق تعاطي "الفكر الاجتماعي" والفكر العلمي على حد سواء معه يلاحظ بشكل جلي أن

الخطابات والنقاشات التي أنتجت حوله كما يشير "بروتون" هي "خطابات طوباوية"، وتحيط به "هالة قدسية" جعلت منه "كائن" أسطور(Breton, 2000) . وإذن أصبح موضوع على قدر عال من الأهمية وشيء كبير ومعقد ومثير للجدل، يشكل التحكم فيه وفهمه بالنسبة للمجموعات والمجتمعات رهانا متعدد الأبعاد.

فالجميع على ما يبدو يعتقدون-أفراد عادين، خبراء، أكاديميين و إعلاميين و معلنون، مؤسسات اجتماعية، سياسية و اقتصادية...- أنهم على دراية كاملة بما يعتقدون أنهم يعرفونه عن تكنولوجيا(ت)الإعلام و الاتصال، عن معناها و ماذا تمثل بالنسبة لهم، لكن الواضح أن الامر أعقد بكثير مما نتصور بيد أن التمثل الاجتماعي ينطوي في الواقع على جملة من العمليات البنائية و التأويلية السيكو-اجتماعية المتداخلة و المركبة التي تفضي غالبا إلى بناء- أو بالأحرى- إلى اعادة بناء الموضوعات الاجتماعية المتمثلة(Abric, 1994) .

على العموم، الجميع يتحدث عن "تكنولوجيا الإعلام والاتصال"، ظاهرة سوسيو-تقنية غدت عادية ومألوفة، و جزء لا يتجزأ من البيئة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الإعلامية و الأكاديمية لإنسان القرن 21؛ لكن يبدو أن هذا الجمع: "معلمين، تلاميذ، شباب جامعي، كبار"، بما في ذالك أولئك الذين تربطهم علاقة ضعيفة بها أو" يفتقدون معارف حولها" يختلفون في الواقع، و نادرا ما يتفقون حول ماذا تعني. الواضح أن الفاعلين و المجموعات المبحوثة تُعرف أو تتمثل الموضوع أو الظاهرة بطرق مختلفة و متباينة تبعا لاختلاف وضعيتها و مكانتها الاجتماعية ،وكم و نوع معلوماتها ،و قيمة الرهانات التي يمثلها لها.

فإذا كانت في تصور الكبار "فضاء مخيف ومبهم"، فهي في تمثل الأطفال والتلاميذ "ماكينة ذكية"، بإمكانها الإجابة على كل الأسئلة فحين يعتبرها الجيل الرقمي "أدوات وتطبيقات تكنولوجية عادية"". أما بالنسبة للشباب الجامعي، فإذا كان البعض يتمثل استخداماتها على أنه "وسيلة لبناء المستقبل خارج البلاد" فهي بالنسبة للبعض الأخر مهما كانت الغاية وسيلة "لإبراز الذات".

لقد أصبحت في الواقع تكنولوجيات الإعلام والاتصال اليوم، التي يتمثل مظهرها الأبرز في الهواتف الذكية والانترنت على حد تعبير مولينر (Moliner,1993; 1996) كائن "متعدد الأشكال" (Polymorphe)؛ ذو طبيعة تقنية و اجتماعية "معقدة" استعصى على الفكر الاجتماعي فهم أوجهها المتعددة، و لم تصبح مسمى لشيء واحد ولا لابتكار واحد. و تظهر في معارف "الحس المشترك"-و على ما يبدو أيضا في الفكر العلمي- في أوجه متعددة تبعا للسياق و طبيعة المجموعات تارة كوسائل للاتصال و الترفيه ،و أحيانا أخرى كوسائل للتعلم و التعليم.

نتبين انطلاقا مما سبق أن المعلومات حول موضوع تكنولوجيات الاعلام والاتصال، بوصفه موضوع أعلى أو متسلسل حسب طبيعة كل بحث؛ معلومات مشتتة داخل مختلف المجموعات الاجتماعية المشاركة في بلورة المعرفة الاجتماعية حوله بشكل أصبح كما يقول موسكوفيتسي من غير الممكن بالنسبة للأساتذة أو التلاميذ، وعلى نحو ما حتى بالنسبة للأكاديميين أو الاعلاميين فهمها والاحاطة بها في مجموعها.

و قد نتج عن هذه الحالة، بالنظر إلى اختلاف الوضعية و المكانة الاجتماعية للأساتذة و التلاميذ صعوبة في الوصول إلى معلومات و معطيات موضوعية و كافية حول الموضوعات المتصورة. إن التباين مثلا بين المعلومة الضرورية التي تسمح للتلاميذ من التعرف على موضوع الانترنت أو الكمبيوتر و المعلومات التي يملكونها تشجع على النقل أو الانتقال غير المباشر للمعارف حولها داخل هذه المجموعة الاجتماعية، و بينها و بين المجموعات الأخرى من زملاء القسم و رفاق اللعب، أو بينهم و بين الأستاذ و العائلة، و إذن في بروز العديد من التشوهات في بنية و مضمون المعارف. استنتج بخنوفة في هذا السياق أن التمثلات التي يملكها الاطفال حول مخاطر الإنترنت تمثلات "مشوشة".

من جهة أخرى، نلاحظ أن درجة التركيز على موضوع "تكنولوجيات الاعلام و الاتصال" أو "الانترنت و تطبيقاتها" ما بين الافراد و داخل المجموعات ؛كما يتجلى ذالك في الكم الهائل من الخطابات المختلفة و الكتابات و التبادلات اللغوية و الفكرية حوله التي أنتجها مختلف الفاعلين الاجتماعين على غرار وزارات التربية و التعليم أو المروجين و الإعلاميين، ساهم في حشد اهتمام مختلف المجموعات به و ذالك في محاولة منها لفهمه و التحكم فيه و دمجه في صورة مجموعة الانتماء و ممارساتها الاجتماعية و المهنية بهدف تنظيم سلوكياتها و توجيه الاتصالات حول هذا الموضوع المعقد و المتعدد الأشكال.

بين بوخنوفة في هذا الصدد كيف أن درجة التركيز على موضوع تكنولوجيات الاعلام والاتصال في المدرسة والمنزل بالنظر لما أصبح يمثله بالنسبة للمؤسسات التعليمية وحتى بالنسبة للحكومات في العملية التعليمة وفي اكتساب المعارف ساهم في انتاج كم كبير من المعلومات استعصى على المعلم والتلميذ الاحاطة بها.

في الواقع لم يعد من السهل واليسير اليوم فهم واستيعاب الكم الكبير من المعلومات المتداولة حول الانترنت، كما أن الوصول إلى المعلومات المتداولة لم يعد كافيا من جهة ثانية لتحقيق هذا الغرض بسبب التشوهات التي تتعرض لها في صيرورة حياتها، وبالتالي يصبح من الضروري بالنسبة للأساتذة أو التلاميذ تحديد ووضع معايير للاختيار والانتقاء بين هذا الكم الهائل من المعلومات، وذالك بالاحتفاظ ببعض سمات وخصائص الإنترنت وإبرازها وحجب البعض الأخر في المقابل لأنه لا يتناسب مع قيم الفاعلين الاجتماعيين. يمكننا ملاحظة هذه الوضعية بوضوح في تصور الكبار للتكنولوجيا (الصادق، 2012)حين يركزون على إبراز المخاطر التي تهدد الجيل الرقمي، أو عند المعلنين والمروجين حين يحجبون سلبياتها ومخاطرها. أو في حالة بعض المجموعات الاجتماعية العرقية (لعياضي، 2012) التي تقوم بحجب أو تجاهل المعطيات التي تعتبرها غير متجانسة مع النسق القيمي للمجموعة أو المجتمع.

إن الأهمية التي أصبح يمثلها موضوع الثورة الرقمية أو الكمبيوتر أو التشبيك الاجتماعي بالنسبة للمعلمين أو التلاميذ أو الجامعيين، و حجم و طبيعة الرهانات التي يشكلها، و حاجتهم لأخذ مواقف و بلورة "شفرة مشتركة"، إما بهدف الفهم والتحكم، أو بهدف الحصول على الاعتراف من قبل المجموعة أو الدفاع عنها سينتج عنها لا محالة إحساس بضرورة تطوير معارف حول هده الموضوعات، أو بمعنى أدق تجعلهم تحت ضغط البحث عن دلالة و بالضرورة تغدو الحاجة إلى الاستنتاجات، تبعا لكل سياق و وضعية سوسيوثقافية و طبيعة المجموعة أمرا لا مفر منه بغية تكوين فكرة محددة حول الموضوع المتصور.

أما فيما يتعلق بالمجموعات وعلاقتها بالموضوع المتمثل والرهانات التي تثيره أو تواجهها فهي بشكل عام ملائمة إلى حد كبير. فكل المجموعات المدروسة؛ تبعا لموضوع وأهداف كل دراسة، والتي كانت مشكلة من جمهور عريض مثلته فئة المعلمين والتلاميذ، وفي دراسات أخرى من الشباب الجامعي الاماراتي في مقابل شباب باقي الدول الخليجية، وفي حالات أخرى من مجموعات قائمة على الانتماء لجنسية معينة أو فئة مهنية ومرات أخرى في "القبيلة الافتراضية" تربطها علاقة محسوسة بالموضوع، وتوجد بشكل أو أخر في حالة تفاعل دوري معه. كما أنها متمايزة سوسيوديمغرافيا وسوسيوثقافيا وإذن تسمح من رصد التمثلات المتباينة حسب طبيعة المجموعة، بنيتها وأهدافها ومواقعها.

فالكمبيوتر أو الإنترنت كموضوع للتمثل متقاسم بين "أنا" المعلم في سياق اجتماعي معين و "الاخر(ين)" الذي يتقاسم وجهة نظره أو موقفه. كما أنا المعلم كفرد (ذات) هو أيضا هذا "الأخر" الذي يسائل التمثل الذي يبلوره الفرد والمجموعة والمجموعات الأخرى أيضا حول الموضوع. فالفرد كما بينه موسكوفيتسي ليس معزول و لا منصهر في "كل اجتماعي" (tout social) بل يتأرجح داخل عوالم وسيطة تشكل عالمه الحقيقي ،و هي المجموعات الاجتماعية التي تسمح له في إطار علاقة التواصل و التفاعل اللغوي خاصة من تشكيل معارف

تتيح له فهم العالم الذي يحيط به. فضلا على هذا، لاحظ أن المجموعات تتوفر فيها بهذا القدر أو ذاك الخصائص السيكوإجتماعية التي تسمح للباحث من رصد وتشخيص التمثلات وديناميكية استقرارها أو تطورها أو تغيرها.

وجدير بالذكر في هذا الإطار أن المجموعات الافتراضية في علاقتها مثلا بموضوع الانترنت أو الشبكات الاجتماعية واستخداماتها، التي تناولتها دراسة لعياضي عينة جديرة بالاهتمام في تقديرينا.

فعلى ما يبدو أنتجت المبتكرات التقنية نوع مستحدث من المجموعات الاجتماعية تتميز بهذا القدر أو ذاك بمحددات وخصائص سيكوإجتماعية تختلف في طبيعتها وبنيتها عن خصائص المجموعة بالمفهوم التقليدي، و تطرح إذن أكثر من تساؤل حول طبيعتها و حول مورفولوجيتها و عن طبيعة العلاقات و التفاعلات التي تقيمها و عن علاقتها بالموضوع المتمثل و الرهانات التي يمثلها التحكم في وظائفها و استخداماتها. على صعيد أخر نعتقد أن هذه المجموعات ذات الطبيعة الافتراضية التي يحكمها علاقة مخصوصة مع الموضوع تثير تساؤلات حول طبيعة الارادة الجماعية التي تتحكم في تكوينها و في بلورة تمثلتها الاجتماعية، و حول هويتها الجماعية، و فيما إذا كانت تمتلك "شفرة" موحدة و متشاركة لفهم محيطها التقني و الشبكي الافتراضي و التحم فيه.

من زاوية أخرى، الواضح أن الصيرورة التوليدية للتمثلات تنطوي في جميع الحالات المدروسة على رهان هوياتي أو رهان الحفاظ على التماسك الاجتماعي للمجموعة. فإذا كان في حالة المعلم مرتبط بالدفاع عن الهوية الذاتية والاجتماعية وخاصة المهنية، فهو بالنسبة للتلاميذ وأوليائهم مرتبط بالتعلم واكتساب المعارف في سياق الحفاظ على التماسك الاجتماعي. إن التحكم في استخدام الانترنت أو الكمبيوتر بالنسبة للمعلم أصبح ضرورة يحركها تهديد الخوف من التخلي عن بعض أدوار المعلم في العملية التعليمية بمفهومها التقليدي. علاوة على هذا فدائما ما يرتبط التمثل كما وضحه مولينر بموضوع يمثل التحكم النظري و التطبيقي فيه كما في حالة التلاميذ رهانا بالنسبة لهم كمجموعة اجتماعية.

أخيرا، يطرح معيار الأرثوذوكسية، أي غياب هيئة تنظيم ومراقبة دوغمائية تتحكم في السريان الحر للمعلومات بعض التساؤلات التي لا يجب في اعتقادنا التعامل معها كمعطيات جاهزة ونهائية، بل تتطلب حفرا معرفيا وفكريا عميقا لفهمها وتفسيرها وتنزيلها في السياق الذي تتطور ضمنه وفي إطاره.

بشكل عام، نلاحظ مثلا في حالة الكبار والمسوقون ومصممو الألعاب أن الأرثوذوكسية يمكن أن تتجلى في محاولتهم التسويق لنماذج سلوكية واتجاهات معينة كما أبرزه الصادق، وإذن يمكن أن ينتج عن هده الوضعية نظام دوغمائي يجرد الفاعلين الاجتماعيين من ذواتهم الفاعلة وهويتهم الاجتماعية بهذا القدر أو ذاك، ويشجع بالمقابل على التطور الايديولوجي للمعارف وتبلور الطوباويات التي تعرقل أو تحد الصيرورة التمثلية التي تتميز بطابعها التطوري.

في سياق أخر، إذا كان هذا الافتراض صحيح ومشروع، فهل منظومة القيم والأعراف والتقاليد الدينية والاجتماعية التي تراقب وتنظم بشكل أو أخر السلوكيات والاتجاهات الفردية والجماعية و توجهها (لعياضي، 2012) ،و التي تعد الاساس الذي تستند عليه المجتمعات العربية تعرقل و تفرمل الصيرورة التمثلية للمجموعات. بمعنى أخر، ستنتج عنها بالضرورة أنظمة إيديولوجية وسرديات طوباوية تعرقل وتعطل عملية بناء المعرفة الاجتماعية، وإذن تنزع عن الفرد والجماعة طابع الاستقلالية التي تعد عنصرا أساسيا في عملية إضفاء المعنى الخاصة بكل مجموعة حول موضوع تكنولوجيات الاعلام والاتصال واستخداماتها.

II. خاتمة:

مما لا شك فيه أن القيمة الاستكشافية التي تتيحها عملية تشخيص انبثاق وتبلور السيرورة التمثلية، كمرحلة تسبق رصد التمثلات الاجتماعية لموضوع ما او شخص ما مرحلة لا غنى عنها. دالك لأنها تسمح للباحث الانتقال من التركيز على الموضوع في حد ذاته إلى معرفته ورصد التمثلات التي يبلورها الافراد والمجموعات حوله في سياق تاريخي وثقافي معين

الإحالات والمراجع:

Abric, j.-c. (1994). Pratiques et Représentations sociales. Dans J.-C. Abric, *pratiques sociales,représentations sociales* (éd. 2003, pp. 217-238). France: puf.

Breton, P. (2000). *le culte de l'internet.une menace pour le lien social?* Paris: la Découverte.

Farr, R. (1992). les représenations sociales: la théorie et ses critiques. (n. v. sociales, Éd.) *Bulletin de psychologie*, *45*(405), 183-188.

Flamment, C., & Rouquette, M.-l. (2003). *Anatomie des idées ordinaires.* paris: Armand Collin.

Gaymard, S. (2021). *les fondements des représentations sociales.* paris: Dunod.

Guimelli, C. (1994). *structures et transformation des représentations sociales.* Neuchatel: Delachaux et Niestlé.

Jodelet, D. (1984). représentations sociales:phénomènes,concept et théorie. Dans S. Moscovici, *psychologie sociale* (pp. 357-378). Paris: Puf.

Jodelet, D. (1989). Les Représentations sociale:un domaine en expansion. Dans D. Jodelet, *Les Représentations sociales* (pp. 47-77). France: PUF.

Lahlou, S. (1998). *Penser manger: Alimentation et représentations sociales.* paris: PUF.

Mariotti, F. (2003, septembre). *JIRSO*. Consulté le 10 12, 2019, sur uqam: https://shorturl.at/AEFO2.

Moliner, P. (1993). cinq questions à propos des représentations sociales. *les cahiers internationaux de psychologie sociale*, *20*, 5-14.

Moliner, P. (1996). *image et représentations sociale:de la théorie des représentations sociale à l'étude des images sciales.* grenoble: PUG.

Moliner, P. (1996). *images et représentations sociales.* Grenoble: presse universitaire de Grenoble.

Moliner, P. (2016). *pschologie sociale de l'image.* Grenoble: PUG.

Moliner, P., Rateau, P., & Cohen-Scali, V. (2002). *les représentations sociales:pratiques des études de terrain.* Rennes: presse universitatire de Rennes.

Moscovici, S. (1961). *La psychanalyse, son image et son public* (éd. 2/2004). France: PUF.

Pouliot, E. C.-J. (2013). *L'étude des représentations sociales à l'aide.* Québec, université Laval: Centre de recherche sur l'adaptation des jeunes et des familles à risque.

Rouquette, M., & Rateau, p. (1998). *introduction à l'étude des représentations sociales.* Grenoble: PUG.

Roussiau, N., & Bonardi, C. (2001). *les représentations sociales:état des lieux et perspectives.* Belgique: Mardaga.

Valence, A. (2010). *les représentations sociales.* Bruxelle, Belgique: De Boeck.

رابح الصادق. (2012). الهوية الرقمية للشباب: بين التمثلات الاجتماعية و التمثل الذاتي. *إضافات*(19)، 89-115.

عبدالوهاب بوخنوفة. (2007). الأطفال و الثورة المعلوماتية: التمثل و الإستخدامات. *إتحاد إذاعات الدول العربية، 2*، 69-83.

عبدالوهاب بوخنوفة(2). (2007). المدرسة،التلميذ و المعلم و تكنولوجيات الاعلام و الاتصال: التمثل و الاستخدامات. جامعة الجزائر،قسم الاعلام، الجزائر.

نصرالدين لعياضي. (ماي, 2012). الشباب في دولة الإمارات و الانترنت:مقاربة للتمثلات و الاستخدامات. *المجلة العربية للاعلام و الاتصال*(8)، 11-80.